الألوان في الشعر الليبي، شعر محمد الفيتوري أنموذجاً
دراسة وصفية نقدية

Colors in Libyan Poetry, Muhammad Al-Fayturi's Poetry as a Model
A Descriptive Critical Study

إعداد

د. خديجة بوطيب عبد القادر بوطيب

Dr. Khadija Boutaib Abdelkader Boutaib
أستاذ النقد والادب العربي المساعد
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الزنتان

Doi: 10.21608/mdad.2024.390943

استلام البحث ١٩ /٧/ ٢٠٢٤

قبول النشر ٥ / ٨ / ٢٠٢٤

بوطيب، خديجة بوطيب عبد القادر(٢٠٢٤). الألوان في الشعر الليبي، شعر محمد الفيتوري أنموذجًا- دراسة وصفية نقدية. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٧)، ٢٥ - ٤٨.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

الألوان في الشعر الليبي، شعر محمد الفيتوري أنموذجًا

دراسة وصفية نقدية

المستخلص:

أسّس الشاعر الليبيّ: محمد الفيتوري (١) في شعره، أنموذجاً لجدلية الصراع بين الأنا والآخر، بين الحاضر والماضي، بين الأمكنة والأزمنة، بين الأسود والأبيض، بين الانتماء واللانتماء. وجاء شعره بوصفه تجسيداً

وتمثيلاً، للثورة على الرجعية والعبودية في إفريقيا.

الكلمات المفتاحية: الألوان، الاستعباد، الحرية، الزنجيّ.

Abstract:

Muhammad AI-Fitouri established in his poetry a dialectical model of the comflict between the ego and the other between the present and the past, between the places and times, between black and white, between, belonging and un belonging.His poetry Came as an Embodiment of African Reality Lt is Represented bythe movement of rebellion, incitement, and revolution against Reaction and Slavery.

His Poetry Builds the National Memory That we led by: Muhammad Mahdi

Al- Gawahari,Abu-Al-Qasim Al- Shabi, Ahmed Rafiq, Al-Mahdawi and Others, during the Colonial invasion From the Late Nineteenth Century to the beginning of the Twentieth Century.

This approach has profound impliations.It was marked humanity and I moved from a Subjective Vision to an African –Arab perspective . The poets experience provided us with facts, memories, feelings and emotions.

Grandma Zahral's Cry Was equated With Thesff erring ofbiackpeopie, In his poetry,that Was after she was kidnapped ,as achild no more than nine years old, While she was watering water with her peers.

This black grandmother was the one who contri t edtoign it ing the

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

slavery complex, especially after he saw his land made illegal by the white intruder. From there, the knot became a permanent feeling and nation.

AL- Fitouri adds,"When l was young, I used to only see a person's color, as if is the barrier between his value and his content,'

His poetry also builds thena t ional memory led by: Muhammad Mahdi Al- Jawahiri, Abu Al-Shabi,AhmaedRaflq Al-Mahdawi, and others, during the colonial invasion from the late nineteenth century to the beginning of the twentieth century.

Her reading came as a model for the Stream consciousness, and creating this collective feeling, restructuring of history and in the adult and recall the memory. It relaxedwhat the African continent was subjected to in terms of invasion, alienation and exploitation.

Keywords: Colors, slavery, freedom, Negro.

• • •

المقدمة:

يُبني شعر الفيتوري الذاكرة الوطنية التي تزعمها: محمد مهدي الجواهري، وأبو القاسم الشابي، وأحمد رفيق المهدوي وغيرهم، إبّان الغزو الاستعماري منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين. ووقفتْ هذه المقاربة على دلالات عميقة. توسمت بمعانٍ إنسانية. وانتقلتْ من رؤية ذاتية إلى منظور إفريقي عربي.

وجاءتْ صرخة جدة الفيتوري "زهرة" معادلاً لمعاناة السود في شعره، ذلك بعد تعرضها للخطف، وهي طفلة لاتتجاوز تسع سنوات في أثناء سقيها للماء مع قريناتها، وهذه الجدة السوداء هي التي أسهمت في إشعال عقدة العبودية، وخاصة بعدما رأى أرضه وقد أباحها الأبيض الدخيل؛ ومن ثمّة أصبحت العقدة شعوراً ولازمة دائمة.

ويضيف الفيتوري عندما كنت صغيراً، كنتُ لا أرى من الإنسان إلا لونه، فهو الحاجز بين قيمته ومحتواه. ثم اكتشفتُ ذات يوم وأنا اكتب "أغاني إفريقيا" أنّ اللون الذي سرق مني أحلى أيام صباي، وكان مجرد شرارة (٢).

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

كما لا يفوتنا ونحن نرصد هذه التجربة اللّونية، التي منحت للشعر الليبيّ قيمة أدبية، أن نقف وبإيجاز عند الحضور اللوني في الشعر، ومدى تأثر الشعراء بالتقليد الثقافي الموروث إزاء هذه الظاهرة؟

وبدءاً تعدّ تجربة الشعراء الليبيين امتداداً وانعكاساً، لآفاق تاريخية واجتماعية، حيث نرى تداخل اللون والحالة النفسية، وارتبط بالبيئة والحالات الإنسانية.

فهذا الشاعر المخضرم **علي عبد القادر صدقي**، أعطى لألوانه هوية و كيان شعب عربيّ، وظفّ مقابلة الألوان في **أنشودة: "الرحيل "**، إذ ازدهرتْ برسم وصفي تقليدي، تميز ببساطة إظهار مشاعر فرحة الجلاء الأمريكي عن ليبيا،٢٨مارس ١٩٧٠م.

وقد تمثلتْ بفرحة الأضواء، وأشعة الشمس، وضباب السحب وتيجان الضحى، جاءت وهي تحمل مضامين الحرية والانطلاق من قيود الغبن الاستعماريّ، إذ **يقول**:

في فجر يوم راقص الأضواء.
قد خرج الجندي، ذو القبعة السوداء.
... مضي يجرّ قبره بلا رجوع...
يلملون الشمس في الأردان...
ويضفرون النور كالتيجان...
ويرسلون في الضحى أغنية الجلاء.
تستوقف السّحاب في الفضاء (٣).

بينما جسدّ الشاعر **عبد المولى البغدادي** في **قصيدة: "وحي الثمانين"**، وحدة فكرية إذ نجد وصفاً للمكان والإنسان وجاءتْ لغة الألوان في ثنائية بين الشباب والشيب، والأبيض والأخضر، والذات والزمان، وهي توحي بالنواح على النفس وهي على أعتاب الثمانين، إذ طوّرتْ الصورة بامتدادات أسطورية، على هذا **النحو**:

هذي الثمانون قد جاءتْ وما خفتتْ نار التوهج
من قلبيّ ومن عينيّ.
حتى إنْ قيل جديّ لن أقل نعم إلى الحفيد الذي
لا شك يعنينيّ

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مازلتُ رغم بياض الشّيب تجذبني نحو الهوى.
بعض أشعاري وتنشيني.
مازلتُ حين يمرّ الغيم يمطرني
فيورق الخصب في جدبي ويرويني (٤).

سبب القيام بهذا البحث:

زودتنا تجربة الفيتوري بواقعات وذكريات ومشاعر وانفعالات. جاءتْ بوصفها أنموذجاً لتيار الوعي؛ إذ خلق الشعور الجمعي، استعادة للهوية، واستحضاراً للذاكرة القومية، وأرخ ما تعرضتْ له القارة السمراء من غزو واستلاب واستغلال.

مشكلة البحث:

١ـ كيف ظهر الصراع في شعر الفيتوري؟
٢ـ ما مضامين التي يحملها شعره، كيف تشكلت عبر الصور الفنية؟

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة فكانت على النحو التالي:

تنوعت الدراسات حول الشاعر محمد الفيتوري، وخاصة بعد صدور ديوانه أغاني إفريقيا ١٩٨٤، وكان من أهمها ما يأتي:

١- كتاب: "محمد الفيتوري والمرايا الدائرية، لنجيب صالح، نشر لدار العربية للموسوعات،١٩٨٤م، تحدث **فيه** عن حياة ونشأة ومراحل من حياة الشاعر، في عام ٢٠٠١م.

٢- كتاب: "شعر محمد الفيتوري، المحتوى والفن"، لعبد الفتاح الشطي، نشر: دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠١م، تدور حول أفريقيا، الحرية، الوطن، الغربة.

٣- كتاب: "محمد الفيتوري، شاعر الحس والوطنية والحبّ"، لمنيف موسى، نشر: دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٥م.

أهمية البحث وأهدافه :-

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تحاول الباحثة - في هذا البحث - الكشف عن البنيّة الاجتماعية والثقافية في شعر الفيتوري، ونقدها من خلال الوعي الجمعي، وتمثلتْ خلال فترتين مختلفين قبل وبعد استقلال إفريقيا، كما تقف على الرؤى والمضمون؛ فنرى كيف شحنت المفردات بمفاهيم الجذور والانتماء والأرض والعبودية.

وتمثلت تمثيلاً حقيقياً لحركة الشعر الإفريقي، وكأنّها تستحضر مقاومة خليل مطران، إبّان الحكم التركي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وارتكز أسلوبه على واقعات تاريخية أو أسطورية، انطلق منها لمحاربة الاحتلال (٥).

وحاول الفيتوري - هنا - أن يوضح الرؤية عبر ثنائية: الأبيض والأسود، ومدّها بأبعاد تحرير الإنسان الإفريقيّ والإنسان الغربي في إطار الاعتراف المتبادل بينهما(٦).

منهج البحث:

ويعتمد المنهج على تتبع الظواهر الشعرية ووصفها ونقدها، ومدى ارتباطها بالتاريخ؛ لفضح صورة الاستعمار البغيض تجاه إفريقيا وشعوبها، وكأنّ شعر الفيتوري، تمثل بإيديولوجية فرانز فانون Frantz Fanonاليسارية التي تدعو المثقف المناضل الذي لا يستطيع مواجهة الاستعمار بالحرب فعليه أنْ يواجهه بالعداء ويكشف حقيقته (٧).

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يبنى على مبحثين : _

المبحث الأول، بناء المضمون :_

فبناء المضمون وفق تقاليد أدبية ومعايير جمالية، والتزام بقافية وقاموس لغوي، يجسد مدلولات متغيرة، تعطي ملامح وأبعادًا جديدة، وتعد مؤرخة لفترة تاريخية لإفريقية.

المبحث الثاني، الصورة الشعرية: _

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ونرى ـ في هذا المبحث ـ كيف ارتبطت الصورة بمفهوم جديد فيما بعد الاستعمار "الكولونيالية"، كما نجد عناصر الصور عنده متناثرة في كل من الأحداث والتجارب المختلفة واتسمت بطابع التجديد، إذ أكدتْ ارتحالها المستمر تجاه تاريخ إفريقيا.

ويضم ديوان الشاعر: أغاني إفريقيا، اذكريني يا إفريقيا، عاشق من إفريقيا، معزوفة لدرويش متجول، سقراط دبشليم، البطل والثورة والمشنقة. تضمنه رؤية مشتركة، تمتزج بمحنة الوجود، وتعدد الأصوات، وصراع الموت والبقاء، ورصد الشخصية التاريخية، والرمز، والتمثيل والمشهد القصصي،وإذ تحوي القصائد على الحس النضالي الإفريقي، حيث كان الفيتوري أول نحى المنحنى الفكري في سياق التجريب الحداثي وغدا هذا الطرح الشعري ذا قيمة جمالية.

وبدأ شعره منذ نهاية الخمسينيات وامتدّ إلى ما بعدها، وجمع ديوانه بين نوعي: الذاكرة التاريخية والذاكرة الشخصية: الماضي والحاضر. وتمّ انتقاء هذه القصائد، وهي تفيض بالإنسانية، تصوّر العلاقة بين المهيمن والمهمش بين الأبيض والأسود.

وكان انبثاق شعرية الفيتوري في نظر صلاح فضل، فتية ومذهلة في نهاية الخمسينيات حيث عبر عن طاقة التحرر الإفريقيّ، في اتساق عجيب مع الخطاب القومي المعاصر لها، أنشد أغاني الإيديولوجيا الصاعدة حينئذ، وهو يمثل إحدى الذرى الشابة في مدها الجسور (٨).

وجاء استهلال بناء قصيدة "المدينة السوداء"، وهو متلون بهواجس المعاناة والقيود الرثة، التي تمثلتْ بأقنعة قوامها الموت والدمار، الذي لحق بإفريقيا، لذا جاء التصوير مثقلاً بنمطية تراثية، تومئ بالسخرية والمرارة على هذا النحو:

كإفريقيا في ظلام العصور
عجوز ملفعة بالبخور
وحفرة نار عظيمه
ومنقار بومه
وقرن بهيمه
وتعويذة في صلاة قديمه

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وليل كثير المرايا
ورقصة سود عرايا
يغنون في فرح أسود. ص٥٧، ٥٨.

وقد تكون المدينة تجسيداً لرمزية المدن الإفريقيّة، وجاءت المدن الإفريقية في مواجهة مدن إليوت T.S Eliotوهي في ذروة بشاعتها، تعاني خرابًا نفسيًا وسياسيًا وتصدع العلاقات (٩)، وجاء وعي الفيتوري، وكأنّه شاهد عصر، يصرخ في وجه الظلم والعادات البالية. ووجه السّحرة وعجوز البخور، ومنقار البومة. تلك أقنعة المدينة الزائفة، صاغت الوجه البائس لإفريقيا، وهي تتوشح بالموت وسقوط الهمم.

وأسهم ربط الفيتوري بين اللون وخرافات الدين والتقاليد في رسم أبعاد لونية، حيث أزيح ليل الستر والكتمان إلى مرايا فاضحة.

وتفصح قصيدة: **"الطفل الأسود"** عن الوضع الإفريقي المتأزم، وما يتعرض له من تصرفات الرجل الأبيض ونظرته الدونية، وجاء الاعتراف بوصفه اختلالاً للبنية الاجتماعية وفقداناً للحرية. نرى كيف صاغ لنا الفيتوري وبهذه البراعة حكاية طفل إفريقي، جاءت بوصفها محاكاة لأقنعة بيضاء وسوداء، وهي دراسة نفسية لفرانز فانون، Frantz Fanon تطرق فيها لمشاكل واجهها العرق الأسود، بسبب الاستعمار العنصري العرقي (١٠)، ويعكس هذا الحوار معاناة الضحية، ذلك بالإقصاء المغيب للهوية. وتدلل ضمائر الغائب: المنفصل والمتصل على صورة الرجل الأبيض اللصيق والدخيل.

وقال طفل أسودُ:
يأبي، إني أخاف الرجل الأحمرا
فهو إذا أبصرني سائراً يبصق فوق الأرض مستكبراً
فلا تدعه يا أبي بيننا
فهو غريب فوق هذا الثرى
اقتله.. اقتله..
فيا طالما مزق أعماقي مستهتزءًا!. ص، ٦٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وجاء الطفل الأسود، وكأنّه رمز لجيل يعيش الخوف، والاضطهاد، واستحواذ الآخر على خيراته، والآخر هو أحمر غريب متكبر، ينظر نظرة استعلاء واحتقار. ورسم هذا التراكم صرخة رفض وخنوع معاً، لذلك المستعمر الأبيض. كما جاء ردّ فعل الإفريقيّ تجاه الاستفزازات، "يحمل دلالة المقاومة بقدر ما يحمل دلالة الخضوع " (١١).

كما نقف على صورة أخرى في القصيدة التالية، وهي تناهض الاستعمار، إذ، جاء تكرار الاستفهام **"كيف"** بوصفه دعوة للتمرد على الواقع الجاثم؛ فنرى كيف استطاع الفيتوري أنْ يبعث روح الزنجي الأصيل زائحا عن اللون الأسود دلالة التشاؤم، ليتجسد بوعي التغيير.

ويحمل الالتفات إلى الذات: بياء النسب:" **أرضي، عمري، إفريقيتيّ، حريتي"** دلالة الانتماء والتملك. وجاء التسامي لصورة الزنجي بهذا الاعتراف القوي: **"أنا إنسان، أنا فلاح، أنا الحر. أنا زنجي"**، ولوني لون الجذور؛ إذ يضفي نوعاً من أصالة الإفريقي؛ فهو المعمر والمكافح وصاحب الأرض.

كيف يستعبد أرضي أبيض
كيف يستعبد أمسي وغدي؟
كيف يخبو عمري في سجنه
وجدار السجن من صنع يدي
أنا زنجي.!
وإفريقيتي لي لا للأجنبي المعتدي
أنا فلاح ولي أرضي...
أنا إنسان ولي حريتي...
أنا حر مستقل البلدِ. ص،٧٧.

بينما استهل الفيتوري قصيدته بهذه الصرخة التي أطلقها في وجه الاستعمار الظالم، وهي توظف **"أنا زنجي"** إذ، جاء بوصفه تمجيداً لجذور عميقة الانتماء، كما

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

تظهر صورة المقابلة بين" **قلها .... أنا زنجي"**، بين الإفريقي المُتغيب والشاعر الذي يبحث عن ذاته بهذا **النحو**:

قلها لا تجبن.. لا تجبن!
قلها في وجه البشريه..
أنا زنجي..
وأبي زنجي الجد..
وأمي زنجيه..
أنا أسود..
أسود لكني حر أمتلك الحريه. ص ،٨٠.

ويختم الفيتوري بقوله**: "أنا أسود.. أسود لكني حر أمتلك الحرية"**، إذ اختزل تكرار لفظ **"أسود"**، أشد أنواع الوجع والاضطهاد، كما بعث لون البشرة الدونية والسخرية، وتفاعل ضمن شجرة النسب، التي تمثلت بالذاكرة الوطنية، ودورها في التشبث بالهوية والولاء الإفريقيّ، ومقاومة عقد المتسلط.

بينما جسد هذه التضاد بين الأبيض والأسود، هموم الإفريقي وما يلاقيه من عبودية وتحقير، بسبب لونه الأسود، كما بعث ماضيًا منهوبًا وواقعًا مأزومًا بالتفكك والحقد.

إلى وجه أبيض
ألئن وجهي أسودُ
ولئن وجهك أبيض
سميتني عبدا
ووطئت إنسانيتي
وحقرتَ روحانيتي
فصنعت لي قيدا
وشربت كرمي ظالما
وأكلت بقلي ناقما

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وتركت لي الحقدا.ص، ٨٤، ٨٥ .

نرى هنا كيف جاء خطاب الآخر بوصفه تراكمات للطبقة المسحوقة عبر رحلة الزمن، وكأنّ ينهي الفيتوري قصيدته برؤية فانون فرانز التي تمثلتْ بأنّ لا اختلاف بين عداوة الأبيض والعنصرية الاستعمارية، فكل منهما يمثل شكلاً من أشكال العنصرية الأخرى(١٢)، ويقع ضمير المتكلم في القصيدة فاعلاً أو يقع تحت تأثير الفعل أو في موضع المفعولية (١٣)؛ ليشكل صوتًا آخر للمعاناة الإفريقية.

وتزخر عتبة القصيدة التالية بأحداث تاريخية تمّ اختزالها كمرجعية، تتيح للمتلقي استيعاب ذاكرة لم ولن تندمل، كما ترسم اغترابية الإفريقي، وتوضح كيف سلب منه الآخر القادم من وراء البحار، أرضه، وكرامته، وحريته وخيراته.

وأمضي إلى أرض إفريقيا
لأصطاد قافلة من عبيد!"
فإني أمرؤ أبيض كالثلوج
...وقد كان لي رفقة..
ثم عادوا سراة عظاماً
فلم لا أسير؟"
لكم أشتهي جسداً دافئاً
مهيباً.. لزنجية جامحة
فقد قيل أنْ لحوم الجواري
لها نكهة.. ولها رائحه...
بلاد الكنوز.! إفريقيا". ص ،٩١، ٩٢.

ويختزل المشهد إضاءة، لرحلة المستعمر الأبيض عبر التاريخ "تجارة العبيد"(١٤)، وجاءت بوصفها صورة لثروات إفريقيا، وهي تنهب، بدأ من تسير قوافل العبيد لدول المستعمرة، إلى امتهان جواري الزنوج.

وهذا التناغم في رسم الضوء والظل، والروح والجسد أرخ لوثائق أدبية تاريخية، ذات بعد إنساني، وضحتْ وحشية الأبيض منذ أقدم العصور.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كما جسد الفيتوري ـ ببراعة فائقة ـ مظاهر الامتهان التي عانتها إفريقيا، التي جُمعت بالعبد والسجن والموت. ورسم صورة الطغيان في دلالة السجن، وترددت لفظة السجن من قبيل التداعي، وجاءت تعبيراً عن الواقع الاجتماعي والسياسيّ الإفريقي بعد الاستقلال. وامتدّ سجن الماضي بالحاضر، وتمثل برمزية اللون الأسود، وليجسد مناحي الصراع الإفريقي.

" ولأنّ الضعف سجن
ولأنّ الخوف سجن
ولأنّ الماضي المظلم سجن
بقيت إفريقيا مستعبدة
تنقب السجن إلى سجن جديد!
ولئن الموت عبد
ولئن الظلم عبد
ولئن الحر عبد في بلاد مستغلة". ص، ١١٢.

وأسهمت نبرة الحزن في تكرار لفظة "لئن" المركبة من اللام الموطئة للقسم وإنْ الشرطية، إذ أسهمتْ هذه التغيرات البنيويّة في خلق تحويل تركيبيّ، الذي جاء بوصفه إيحاءً لدعوة التحرر من كل أشكال الاستغلال؛ وتحول السجن إلى سجون، بل بات الأنموذج والرمز، ويفسر الذاكرة الشعبية في صراعها وطموحها وانكسارها، كما اقترنت صورة الحر بالعبد في زمن إفريقيا الاستقلال.

من هنا نرى كيف كان شعر الفيتوري أكثر مكاشفة وتعرية للذات والآخر، تنوعت التجربة الإنسانية. طرحتْ قضية حياة الإفريقي وكفاحه من أجل نيل الكرامة والحرية والأمن. ومدتْ مفردة السجن بأبعاد الحياة الكريمة والنضال. كما أرخّ لذاكرة فقد الملكية والضياع، وشكلت العلاقة بين الأجيال بنيّة لذاكرة جماعية وتاريخية. كما نرى تداخل الانتقال بين البنيّة الذاتية وبنيّة الجموع الإفريقية.

. . .

المبحث الثاني، الصورة الشعرية :

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يأتي الشعر الحديث ليس تمرداً على أشكال وقيود صارمة، بل جاء تعبيراً في رؤية المبدع وتعامله مع الواقع الجديد. كما أنّ الصورة ليستْ وليدة الشعر الحديث، بل قديمة قدم الشعر ذاته، وجاهدتْ علوم البلاغة والنظريات النقدية على إعادة النظر في الصورة الفنية.

وتبرز أهمية الصورة في الكشف عن الحالة النفسية وتوظيف ما خُفي من علاقات. وتبقى الصورة هي الأداة المهمة في تميز عصر من عصر، كما تعبر عن تيار الشخصية وخصوصية الشاعر (١٥).

كما أن الصورة الشعرية "في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أنْ ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص؛ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدماً طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني" (١٦).

وتُمثل الصورة الشعرية عند الشاعر بعدة خصائص متناثرة في جل قصائده، وجاءتْ بوصفها تحريضاً ودعوة لكسر قيود الغبن. وجسدتْ قصيدة: **"البعث الإفريقي"** حركة التاريخ، وبدأت بلفظ "استيقظي" رمزاً لولادة الثورة.

وجاءت البنيّة الفكرية بلغة، يكثر فيها الاستفهام المقترن بالنفي، ممّا خلق دلالات ومعاني جديدة منها: إذ يلعب دور التنبيه ويعكس الاستغراب. كما أفض هذا التكرار إلى تعزيز الوظيفة البلاغية، التي غلب عليها السواد والاستلاب.

إفريقيا..
إفريقيا استيقظي..
استيقظي من حلمك الأسود
قد طالما نمت.. ألم تسأمي؟
ألم تملَي قدم السيد؟
قد طالما استلقيت تحت الدجى
مجهدة.. في كوخك المجهد

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مصفرة الأشواق...
تبني بكفيها ظلام الغد
جوعانة تمضغ أيامها. ص٦٢،٦١.

وامتلأ المشهد بالانفعال والشجن، وتضافرت الصورة السلبية بالركود الذي تعيشه إفريقيا، حيث برزتْ من خلال الاستعارة المكنية في **"قد طالما استلقيتِ تحت الدجى، ... وتبني بكفيها ظلام الغد"**

ويتمتع بناء مضمون القصيدة بجماليات الذات المفعمة بروح **"نحن"** الجماعة، تجمع تضاد الحرب والسلم، القهر والفخر، عائد من الحرب، وعائد إلى الحياة. تنقل تجربة حيّة لمعاناة الشعوب من زمن الاستعمار إلى زمن الاستقلال المزيف.

"لقد عدنا من الحرب إلى الحقل.. إلى المصنع
لكي نحرث، كي نبذر، كي نحصد كي نجمعْ
لكي نبني للغير.. لكي نطهو ولا نشبعْ
لكي نحلم بالفجر الذي من يدنا يسطع
لكي نصنع حربا ضخمة أخرى.. لكي نصنعْ
لقد عدنا إلى الأكواخ.. أكواخ أهالينا. ص ١٥٣، ١٥٤

وتظهر قدرة الفيتوري في تحقيق لغة شعرية الانزياح الدلالي واللغوي، وهذه التراكيب الاستعارية: **"الفجر والمصنع والكوخ ونار الطهي، وسطوع الشمس، والفقر المدقع"**، جاءتْ استحضاراً لموقف نفسي وثقافي. (١٧)

بينما جاءت هذه قصيدة كإضاءة موجزة لتاريخ السودان (١٨)، التي بدأها: **" أصبح الصبح فلا السجن، ولا السجان باق"**، وتوجتْ بوحدة المصير والتاريخ، وكشفت المقاربة الواعية عن مرحلة استلاب الشعوب، وصوّرتْ استمرار نضال الأجيال، ورسمتْ في صورة التقاء تضحيات الأمس باليوم، وجاء التصوير بوصفه بعثاً لأسطورة التعاقب، امتزج الموت بالحياة على هذا **النحو**:

أصبح الصبح.. وها نحن على البعد التقينا
التقى جيل البطولات.. بجيل التضحيات

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

التقى كل شهيد قهر الظلم .. ومات
بشهيد لم يزل يسقي بذور الذكريات
أبداً ما هنت يا إفريقيا يوماً علينا
بالذي أصبح شمساً سطعت ملء يدينا
وشذى تعدو به الريح، وتختال الهوينى يا بلادي ". ص ،٤٣٣.

وتومئ نهاية الحروب بجمالية التضاد بين "نحن"، و"الآخر" بين الحرية والاستعباد، بين الاستعمار والاستقلال المزيف. وأظهر التصوير موقف الفيتوري الواضح من معركة تحرير إفريقيا. وقدرته على بعث الهموم الذاتية والفردية ومزجها بهموم الجموع والثورة.

ووظف الفيتوري ـ هنا ـ فعل الأمر **"اكتب"**، بكثافة واضحة، وجاءتْ الصورة، كأنّها تمثل بوجود صاحب يخاطبه الشاعر، وهذا ما تعارف عليه في الأطلال الجاهلية، وإن جاء الخطاب الجاهلي لاثنين (١٩).

واستثمر الفيتوري في استعمال أفعالٍ متحركة**:" يغسل، وينكس، اكتب"**، ليعمق الإحساس، ويكشف عن شقاء إفريقيا الدائم بسبب الأبيض الذي جثم على الصدر. وجمع المشهد بين الأبيض ذي الأغلال، الذي ذلّ الرجال وقتل الأطفال، وبين الأسود العبد.

وتجلتْ وظيفة اللغة بوصف الرجل الأبيض في مطاف قداسة الإله، بينما وضع الرجل الأسود في منزلة دونية. نرى كيف رصدتْ التحولات العميقة على مستوى ثنائية:**(الأبيض ـ الأسود)**، من منظور نقدي، ممّا ولدتْ صراعاً ثقافياً تاريخياً، رسم مسافة التناحر الطبقي والعرفي والفسيولوجي (٢٠)، كما مزج الفيتوري دلالة **"تجاريب التاريخ سراب"**، بين سلطة الأبيض وسلطة التاريخ الظالم.

"اكتب.. فعلى أرضكِ مازال
الرعب الأبيض ذو الأغلال
يغسل بالدم قلب الأطفال
وينكس أعناق الرجال...
وتجاريب التاريخ سراب...

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وكأنّ الأبيض نصف إله
وكأنّ الأسود نصف بشر". ص ،٣٦٥، ٣٦٦.

وينهي الفيتوري قصيدته بنقل صورة مفردة **"اكتب"**، من زمن الأغلال إلى الرمز بفجر إفريقيا ضد واقعها البائس، بقوله:

"اكتب عن فجر البشرية
عن آخر أيام الطغيان
في أرضي...
في أفريقية". ص٣٦٧.

ومن هنا نرى كيف جاءتْ الصور الفنية مركبة من ألوان وصفات وأفعال اقترنت بالتجديد مثل:**" سطع وهج الضوء ونور الصباح الفجر، الظلام، الزنجي"**، وتداعتْ أنواعها من نفسية ومعنوية وتاريخية. كما شكل نمو التصوير جمالية، جسدتْ المشاعر والأحاسيس، ورصدتْ التحولات الكبرى في إفريقيا، وعمقت البنيّة الدلالية.

ونرى هنا أيضاً كيف أنّ شعره يمتاز بالغموض، لأنّه يحاول التعبير عن مأساة السوّد، وسعيهم للحرية. وجاء الأداء يحاكي حركة القضية، فضاع الوضوح، نتيجة لعمق الطرح (٢١).

كما يفضي الفيتوري بخلاصة في نهاية الديوان، تومئ بوظيفة الشعر في الحياة، ذلك بقصيدة: **"الإنسان والحقيقة"** حين صرّح أنّ الشعر هو الذي يسرد الانكسارات والأحلام، لتظهر الصورة واضحة، من تعرية الزيف إلى توثيق واقعي وبدأها، **بقوله**:

أكتبُ عن عصركَ كيف انطفأتْ.. روعته وكيف
تعرجُ ساقاه، وتهرمانِ
كلُ لحظة تحت ثلوج الزيف...
والشعر وحده هو الإنسان والحقيقة ". ص،٥٥٧.

وجاءت النظرة تأكيداً لوصف أرسطو Aristotle للشعر، بأنّه أوفر حظاً من الفلسفة وأسمى مقاما من التاريخ، يروي الأحداث التي يمكن أنْ تقع، والأشياء ممكنة إما بحسب الاحتمال أو حسب الضرورة (٢٢)؛ لذا رسم شعره صورة جديدة للمجتمع

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الإفريقيّ، وهو يعاني انحلال القيم والأخلاق، ومظاهر الصراع الجديدة، وصوّر ما آلتْ إليه إفريقية قبل وما بعد الاستقلال. كما جاءت بنية الألوان، وهي تحمل لغة تصويرية ذات توجيه ووجهة نظر خاصة.

نتائج البحث:

١.جاء مضمون القصائد مفعماً بالتراث العربي، انطلق من الماضي وانفتح على الحاضر، رصد عادات وسلوكيات، واستدلتْ رمزية الألوان باللاوعي الجمعي، وظهرتْ العلاقة بين اللونين "الأبيض، والأسود"، ضديًا أو تطابقيًا، وجاء الاستخدام بوصفه بلاغة قديمة حديثة؛ لذا جاء شعره وهو يجمع بين الحداثة والتراث.

٢.ويزخر اللون الأسود بكل أنواع الانتماء، ويعبر عن لحظة اكتشاف الذات والمصير، ويصف نضال الأجيال. الذي ارتبط بالغبن الاستعماريّ، بينما تمثل اللون الأبيض بالامتداد الأوروبي. ويظهر اختلاف الصور الفنية، بوصفها صوراً لدرامية الواقع وارتباطها بذاكرة التاريخ.

٣.وتوحي تراكيب الألوان بذات إفريقيا، وهي تعيش وتتنفس الماضي؛ لذا حاول الشاعر تحرير الوعي والثقافة الإفريقية، ومحاربة الرجعية وتقديس القديم.

٤.كما عكس الانفصام الحاد للذات الإفريقية بين علاقتها بالمكان القائم والحلم القادم، وصراع الهوية والانتماء والاغتراب الذي يعيشه الشاعر.

التوصيات:

١.يأتي وصف الألوان في سياق الأحداث الذاتية وطبيعة الشخصية وقضايا المجتمع ولذا، الاهتمام بمثل هذه الدراسات يعدّ توثيقاً تاريخياً وإنسانياً.

٢.قدم الديوان نسقاً من التراكمات الفكرية والاجتماعية، وسجل مرحلة هامة في حياة الإنسان والبيئة وجدلية التغيير، ومن هنا يعكس الاهتمام بها ثراء معرفياً

٣. بالرغم من السبق لمثل هذه الدراسات إلا أنها مازالت في ليبيا تحتاج إلى تسليط الضوء، لأنّها تمثل بذرة اكتشاف ووعي للذات والهوية.

٤. يأتي الالتفات لدراسة مضامين الأدب الليبي في مختلف ثقافاته وبيئاته، بوصفه انعكاساً للفكر الليبي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الهوامش:

١. ديوان محمد الفيتوري، بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م.
وانظر: عبد الله سالم مليطان: معجم الشعراء الليبيين، شعراء صدرتْ لهم دواوين، طرابلس، مداد للطباعة والنشر والتوزيع،الجزء الأول،٢٠٠١م.
وانظر: الجزيرة. البث الحي
ولد محمد الفيتوري عام ١٩٣٦م، بمدينة الجنينة "دار فور حالياً "بالسودان، وهاجر والده من مدينة زليتن الليبيّة، إلى غرب السودان قبل الحرب العالمية الأولى، ثم انتقل إلى الإسكندرية وهو يبلغ من العمر ثلاث سنوات، أتم حفظ القرآن في سن التاسعة، والده كان صوفيا، وجدته لأمه كانت زنجية سودانية الأصل، وهي التي زرعت فيه الانتماء للقارة السوداء.
ودرس بجامعة القاهرة، فرع الآداب والدراسات الإسلامية، في عام ١٩٥٨م، انتقل إلى السودان، ليعمل بحقل الصحافة، وتقلد عدة مناصب منها: مستشار وسفير بالسفارة الليبية، بيروت، ومستشار ثقافي بإيطاليا، ومستشار سياسي وإعلامي بسفارة ليبيا بالمغرب.
وظهر اهتمامه بإفريقيا، وصدرت له عدة أعمال من دار العودة ببيروت، والهيئة المصرية، توفي الشاعر عصر يوم الجمعة ٢٠١٥م، بمستشفى الشيخ زايد بالعاصمة المغربية الرباط عن عمر يناهز ٨٥ عاماً بعد معاناة طويلة مع المرض.
٢. انظر: صبحي محيي الدين: الشعر وطقوس الحضارة، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٨ م، ط١، ص٧٥،٧٦.
٣. انظر: أمين مازن: دراسات في الشعر العربيّ المعاصر،٢٠١٧م، touob.comlatchiv.

علي عبد القادر صدقي عبد القادر، شاعر وكاتب ومؤلف وأديب ليبيّ من طرابلس، يلقب بـ (شاعر الشباب)، كتب في مجالات الشعر وأصدر العديد من الدواوين.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٤. عبد المولي البغدادي: وحي الثمانين، ليبيا، كلية الآداب، طرابلس،٢٠١٧م، ط١، ص ٢٩٨. وانظر: الموسوعة التركية باللغة العربية.

Httpsll ww.aa.com.fr

عبد المولى البغدادي ولد٧ مارس ١٩٣٨م طرابلس، وأستاذ جامعي ليبي له ديوان (على جناح نورس)، بالإضافة إلى قصائد أخرى. تلقى تعليمه في معهد باشا الديني، ثم تحصل على الليسانس من كلية اللغة العربية بمدينة البيضاء ١٩٦٥م، والدكتوراه ١٩٧١م من جامعة الأزهر، توفي ٢٠٢٠م

٥. انظر: خالد محيي الدين البرادعي: الإبداع من الرؤية القومية إلى المنظور الإنسانيّ، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م، ص٢٢٨.
٦. انظر: عبد الحميد حيفري: فرانز فانون، (بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته)، الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش،٢٠٠٧م، ص٣٩.
٧. انظر: كريم فخري: فرانز فانون...سيرة حياة، مجلة الأوراق، دمشق، مؤسسة دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، عدد ٢٣، ٢٠١١م، ص٣٦.
٨. انظر: صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م، ص٥٦.
٩. انظر: علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، دراسة نقدية، عمان، دار الشروق،٢٠٠٣م، ط١، ١٣٨.
١٠. انظر: سليمة الكبير: فانون مندوب الثورة الجزائرية في القارة الإفريقية، الجزائر، المكتبة الخضراء للنشر والتوزيع، دت، ص ٣٣.
وانظر للمزيد: فانون فرانز: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد، الجزائر، منشورات، دار الفراني،١٩٢٣م.
١١. عزيز نعمان: رواية ما بعد الحداثة، دراسة في نص "سيمرغ" لمحمد ديب، الجزائر، منشورات الاختلاف،٢٠١٣م،ط١، ص١٠٩.
١٢. انظر: عبد الحميد حيفري، مرجع سابق، ص٢١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

١٣. انظر: محمد فوزي عيسى: تحليل النص الشعري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ١٩

١٤. انظر: محمد علي رجب: تاريخ الشعوب الإفريقية، الإسكندرية، دار التعليم الجامعي،٢٠١٥، ط١، ص٧٨.
لقد عانت إفريقيا من تجارة العبيد منذ القرن الخامس عشر ولمدة أربعة عقود.وكانت هذه التجارة ذات أهمية في بناء امبراطوريات الدول المستعمرة وإنتاج الثروات التي فجرت الثورة الصناعية.
كما جاءتْ السيطرة عن طريق القوافل التجارية ومنابع استخراج الذهب وخلق مراكز تجارية من المغامرين، لأجل السيطرة على تجارة العبيد.

١٥. انظر: على الغريب محمد الشناوي: الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، القاهرة، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ط١، ص١٧.

١٦. انظر: قطوس بسام: الإبداع الشعري وكسر العيار، الكويت، المجلس النشر العلمي،٢٠٠٥م، ص٤٧.

١٧. عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربيّ المعاصر، بيروت، دار النهضة،١٩٨١م،ط٢،ص٣٩١.

١٨. انظر: عبد الفتاح الشطي: شعر محمد الفيتوري، المحتوى والفن"، القاهرة، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠١م، ص٤٣،٤٢.
وانظر: الجريدة الكويتية، محمد الفيتوري...عاشق إفريقيا الأول رحل،٢٠١٥م. كتب الخبر: الجريدة ـ القاهرة.
قصيدة "أصبح الصبح"، هي إحدى قصائد أكتوبر في السودان، انطلقتْ في اليوم الثالث للعصيان المدني للثورة ضد جعفر النميري، وشدا بها الفنان محمد وردي، تغنى بها بعد أنْ غادر الشاعر محمد الفيتوري السودان. بعدها طرده جعفر النميري من السودان ١٩٧٤م، وأسقط عنه الجنسية. وقُرر في عام ١٩٧٥م إعادة الجنسية الليبية للشاعر جنسية والده الموروثة عن الأجداد "الفواتير"، وبعدها عين مستشار للسفارة الليبية في إيطاليا عام ١٩٧٦م.

١٩. انظر: محمود سليم هياجنة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دراسة نصيّة، الأردن، دار الوضاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص٨٦

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٢٠.إبـراهيم الحجـري: المتخيـل الروائـي الجسـد، الهويـة، الآخـر، مقاربـة سـردية أنثروبولوجية، دمشق، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠١٣، ط١، ص ٦٣.
لقد عرف في المنظومة الحقوقية داخل المواثيق الدولية، بأنّ الأسود يدل على الرق والعبودية في حين يرمز الأبيض إلى التميز والسيادة والهيمنة، وكأنّ الجنس الأسود خُلق ليخدم الجنس الأبيض، ممّا وّلد صراعاً توج بظهور الحركة الزنوجية التي دافعتْ عن كرامة هذا الجنس وتبنت قصائده وأسئلته...للمزيد ارجع للمؤلف.
٢١.انظر: يوسف الخال: الشعر في معركة الوجود، بيروت، دار المجلة،١٩٦٠م، ط١، ص٧١.
٢٢.انظر: أرسطو طاليس: فن الشعر، نقل أبي بشر متي بن يونس القباني، من السرياني إلى العربي، حققه مع الترجمة: شكري عياد، القاهرة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٧م، ص٦٤.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١. عبد الله سالم مليطان: معجم الشعراء الليبيين، شعراء صدرتْ لهم دواوين، طرابلس، مداد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزء الأول،٢٠٠١م.
٢. عبد المولي البغدادي: وحي الثمانين، ليبيا، كلية الآداب، طرابلس،٢٠١٧م،ط١.
٣. ديوان محمد الفيتوري، بيروت، دار العودة، ١٩٧٩م.

ثانياً: المراجع:

١. ١ إبراهيم الحجري: المتخيل الروائي الجسد، الهوية، الآخر، مقاربة سردية أنثروبولوجية، دمشق، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠١٣، ط١.
٢. خالد محيي الدين البرادعي: الإبداع من الرؤية القومية إلى المنظور الإنسانيّ، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م.
٣. سليمة الكبير: قانون مندوب الثورة الجزائرية في القارة الإفريقية، الجزائر، المكتبة الخضراء للنشر والتوزيع، دت، ص٣٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٤. صبحي محيي الدين: الشعر وطقوس الحضارة، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ١٩٩٨
٥. صلاح فضل: نبرات الخطاب الشعري، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٨م.
٦. عبد الحميد حيفري: فرانز فانون، (بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته)،الجزائر، الطباعة الشعبية للجيش، ٢٠٠٧م.
٧. عبد الفتاح الشطي: شعر محمد الفيتوري، المحتوى والفن"، القاهرة، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.
٨. ٨عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربيّ المعاصر، بيروت، دار النهضة،١٩٨١م، ط٢.
٩. عزيز نعمان: رواية ما بعد الحداثة، دراسة في نص "سيمرغ" لمحمد ديب، الجزائر، منشورات الاختلاف،٢٠١٣م، ط١.
١٠. علي جعفر العلاق: في حداثة النص الشعري، دراسة نقدية، عمان، دار الشروق،٢٠٠٣م، ط١.
١١. على الغريب محمد الشناوي: الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، القاهرة، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ط١.
١٢. قطوس بسام: الإبداع الشعري وكسر العيار، الكويت، المجلس النشر العلمي،٢٠٠٥م.
١٣. محمد فوزي عيسى: تحليل النص الشعري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م.
١٤. محمد علي رجب: تاريخ الشعوب الإفريقية، الإسكندرية، دار التعليم الجامعي، ٢٠١٥، ط١.
١٥. محمود سليم هياجنة: الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دراسة نصيّة، الأردن، دار الوضاح للنشر والتوزيع،٢٠٠٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثالثا: المراجع المترجمة:

١. أرسطو طاليس: فن الشعر، نقل أبي بشر متي بن يونس القباني، من السرياني إلى العربي، حققه مع الترجمة: شكري عياد، القاهرة، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٦٧م.

٢. فانون فرانز: بشرة سوداء أقنعة بيضاء، ترجمة: خليل أحمد، الجزائر، منشورات، دارالفراني،١٩٢٣م.

رابعاً: المجلات:

١. كريم فخري: فرانز فانون...سيرة حياة، مجلة الأوراق، دمشق، مؤسسة دار المدى للإعلام والثقافة والفنون، عدد ٢٣، ٢٠١١م.

٢. يوسف الخال: الشعر في معركة الوجود، بيروت، دار المجلة،١٩٦٠م، ط١.

٣. الجريدة الكويتية، محمد الفيتوري...عاشق إفريقيا الأول رحل،٢٠١٥م. كتب الخبر: الجريدة ــ القاهرة.

رابعاً: المواقع الإلكترونية:

١. أمين مازن: دراسات في الشعر العربيّ المعاصر. طيوب.

٢. الموسوعة التركية باللغة العربية.

Httpsll ww.aa.com.fr

٣..الجزيرة البث الحي.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898